



البطولة في أدبنا للأطفال

بقلم أحمد البربراهيم

اليه قلبه الرقيق الفياض بشتى العواطف .

وانما سقت هذا التشابه ، لابن ما تشتمل عليه هذه النفس الصغيرة من اقبال على الادب اذا نحن احسنا اختياره ، وقدمناه اليه في ثوب شاعري يتفوق وميوله وعندئذ فقط نستطيع ان نرسم له المثل العليا التي نريد فيه اطار من الادب يجتذب نفسه الصافية ، تفسر على هداها الى ما نبتغيه من الغايات الكريمة والامال العزيزة .

ادب الطفولة وبطولانه في ادبنا العربي :

لعلنا ندرك بعد هذه المقدمة ان ادب الطفولة ليس هينا يسيرا - كما يبدو - فالشعوب التي اصطنعت الادب في اعلى صوره البلاغية لم تستطع ان تصل الى الاحسان في ادب الاطفال الا بعد دراسات واسعة ، اهتدت بها الى دراسة الطفولة نفسها ، دراسة كشفت عن اسرارها واوضحت معالمها . ومن اجل هذا لا نكاد نجد في ادبنا العربي قبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر اي اثر لادب الاطفال ، وان كنا نجد في ثنايه الوانا قليلة قد تصلح لبعض مراحل الطفولة ، لم يضعها الادباء - حين وضعوها - للاطفال ، وانما ارادوا بها التسلية او العظة ، او استهدفوا بها العوام من الناس ، فجاءت دون قصد منهم - صالحة بفكرتها احيانا وباسلوبها في قليل من الاحيان .

ونحن اذا عدنا بخيالنا الى صحرائنا العربية قبل الاسلام ، نجد هذه الصحراء مليئة بالاحداث ونجد صورا من البطولات تزخر بها اشعار الشعراء وقصص الرواة ، وتتردد هذه وتلك في المجتمعات فتستأثر على مسامح الاطفال : يتلقفونها اول الامر دون وعي ، فلا تزال تلح عليهم كلما تقدم بهم الزمن ، حتى تحل في نفوسهم محل العقيدة ، وتدفعهم بتأثيرها القوي في طريق الابطال الذين اعزوا شأن القبيلة واعاوا مكائنها . ولقد كانت الامهات بما ينظمن من اشعار البطولة اسبق من ادب القبيلة في التأثير ، فقد كن يدلن اطفالهن باشعار الحماسة منذ الصغر ، فتفتتح عيونهم على احاديث الشجاعة ، واباء الصميم ، ولقاء الاعضاء وها هي ذي كنزة المنقرية تدل طفلها شملة بقولها :

فان بك ظني صادقي وهو صادقي بشملة يجسهم بها محبسا ازلا
فيا شمل شمر واطلب التوم بالذي اصيت . ولا تطلب قصاصا ولا عقلا

ولا نحسب الطفل في مهده او حدائه سنه يدرك الاغراض البعيدة من هذا الكلام ، ولكنه الابناء المستمر يواتيه من كل جانب : من امه ومجتمعه وقبيلته ، فينبه احساسه ويلقى بالشرارة الاولى في نفسه فلا تزال تتوهج كلما مر الزمن ، حتى تحيلها آخر الامر الى نار متاججة ، لا يهديء من اوارها الا دم الاعداء في ميدان القتال .

ولم اجد كذلك فيما قرأت من ادب اسلامي ما يشير الى ظهور هذا الادب ، وانما التفاتة فقط الى تعليم الصغار بما يقدم اليهم من تعاليم الدين ، واداب تدعو الى الفضيلة والاخلاق وعناية بقصص الابطال يتصدى لها القصاصون في المساجد ، دون نظر الى مستوى السامعين واعمارهم

قد يظن الناس ان ادب الطفولة هين المكانة ، لما يبدو فيه من سذاجة الفكرة ، وقرب الخيال والسهولة المطلقة في الاداء ، وقد يكون اذا قرأوا ما ينطق الطير والحيوان : انها بطولة حفا ولكنها بطولة الديكة والثعالب والغربان يصورها الخيال في دنيا الخرافة ، فما ايسر البطولة اذا قامت بها العجاوات ، وروت احاديثها الطيور والحيوانات .

وقد يستهين النقدة بادب الصغار ، يرونه دون اقدارهم فلا يهبطون الى ميدانه ، اشفاقا منهم ان يتهم تقدمهم بالعبث ، ويرمى ببيانهم بالضعف والهوان . وهذه الاوهام هي التي صرفت ادباءنا الاعلام عن الاهتمام بامر هذا الادب ، فلم يتناولوه منهم الا قلة نادرة : الفوا فيه بعض القصص ووضعوا للابناء بعض المقطوعات التي تناسب ادراكهم . ولكنهم ضنوا عليه بالنقد والتوجيه ، فلم يتعرضوا له مؤرخين ، ولم يبينوا للناس غاياته واهدافه ، ولم يضعوا له القواعد والاصول . تلك الموازين التي نهدي الى ما يصلح منه وما يصلح لمرحلة الطفولة المختلفة ، ومن ثم كثر متكلفوه وصانعوهم وامتلأت مكتبات الاطفال بالفت والسمين والصار والنافع ، ووقف المرئوب من هذا الانتاج في اغاب الاحيان موقفا سلبيا ، فلم يقطعوا فيه برأى وانما تركوا امره الى الطفل يلتمس منه ما يشاء ، فاصاب من قراءته النفع والضرر والخير والشر على السواء

وعندي ان ادب الاطفال اهم الاداب جميعا اذا كان قياس الادب باثره الباقي في النفوس فهو بذلك يعد الادب الموجه للجيل الصاعد ، وغارس العادات ، ومقوم الاخلاق ، وموضع امل الاباء والمجتمع والامة . بل يعد ادب الحياة الصانع لمستقبل الحياة .

ولست اشك في ان نقد هذا الادب من الصعوبة بمكان على الرغم من السهولة البادية في خياله واسلوبه . ذلك لان احكام الناقد في كل صورة من صورته ترتبط بالدراسات النفسية والاخلاقية اكثر مما ترتبط باصول النقد والبلاغة ، والعارفون لانجاهات الطفولة يعلمون ان الادب الرفيع قد يكون اسوأ ما يقدم الى الاطفال لانه ببلاغته وبعد مراميه ، يوقمهم في حيرة ويعقد عليهم المسالك ، وقد يفرهم من الادب مدى الحياة . ولا بد لنا اذا شئنا التأليف الادبي للاطفال او اردنا نقد ما يقدم اليهم من آداب ان نتعرف على هذه النفوس الفضة ونلم بانجاهاتها ، حتى يكون عملنا واقعا وموقعا من الصواب . ولست مبالغا اذا قلت ان الدراسة النفسية ستفنتنا على امر عجيب : سنعلم ان الاطفال شعراء العاطفة ، وليففر لي الشعراء اذا قلت : ان الطفولة تلتقي بالشاعرية في كثير من صفاتها : تلتقي بها في غلبة الخيال ، ورقة الاحساس ، وحدة العاطفة والاقبال على الطبيعة ، والنفور من القيود التي تحد الحرية ، وفي الايمان بالمثل التي يصورها الخيال سامية عالية ، فالطفل شاعر حين يستنطق الجمساد ، ويخاطب الطير والحيوان ، وشاعر حين يفر من الواقع الى قصص ينسجها الخيال ، وشاعر بصفاء نفسه التي تنعكس عليها صور الحياة ، : فيتنفعل ويتشامد ، ويفض ، ويقبل على الناس وينفر منهم . كل ذلك يهديه

غافلا عما يتركه هذا القصص في نفوس السامعين من الاثر ... » ويقول : « حتى اذا صلوا الفشاء اجتمعوا فتحدثوا طرفا من الليل واقبل الشاعر ينشدهم اخبار الهالين والزنانين ، وصاحبنا جالس يسمع في اول الليل كما كان يسمع في اخر النهار » ... الى ان يقول : ولم يبلغ التاسعة من عمره حتى كان قد وعى من الاغاني والتعميد والقصص وشعر الهالين والزنانين والاوراد والادعية ، وانشيد الصوفية جملة صالحة . »

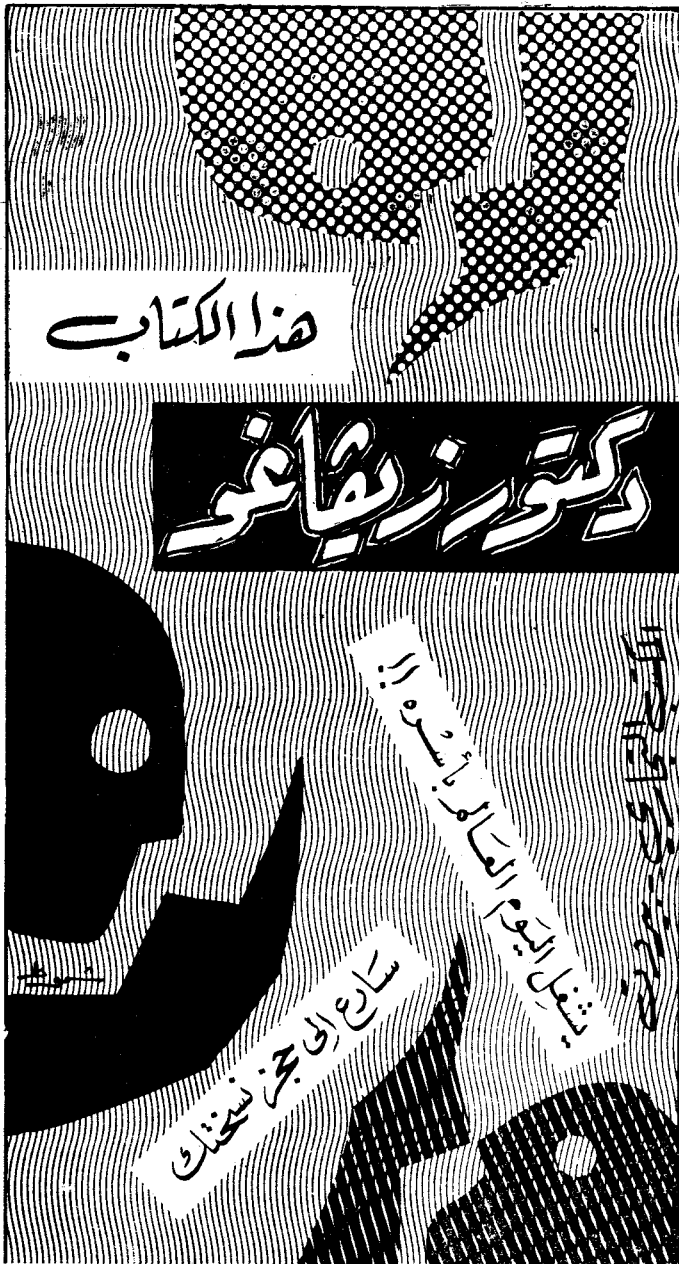
ويوضع الدكتور في مكان اخر من الكتاب مقدار حرصه على سماع الشاعر الشعبي بقوله : « ثم يذكر انه كان لا يخرج ليلة الى موقفه من السياج الا وفي نفسه حسرة لاذعة ، لانه كان يقدر ان سيقطع عليه استماعه لنشيد الشاعر حين تدعوه اخته الى الدخول فيأبى فتخرج فتشده من ثوبه ... الخ » .

وهكذا عاش الاطفال على ادب الكبار ، واريدوا على التماس المثل فيما

ثم كانت انطلاقة الفكر في العصر العباسي ، فترجمت كتب على لسان الطير والحيوان ، وجمعت قصص تاريخية وغير تاريخية والفت نوادر للبخلاء والاذكياء وغيرهم ، وجمعت رحلات المفارمين والمستكشفين ، واصبح بهذا وغيره في ادبنا العربي مادة صالحة من ادب البطولة للاطفال ، ولكنها كما يبدو - لم تستغل في وجهها الصحيح ، ولم يلاحظ في اسلوبها صفات خاصة بهم . وبين ايدينا ناصح الناصحين من الربيع من عهد ابن المقفع الى عهد ابن خلدون وما بعده ، وهي جميعها لا تولي هذه الكتب عناية خاصة . يقول الغزالي ناصحا المعلمين : « عليه (اي المعلم) ان يبدأ بانتقاء الاشعار السهلة ليسهل على الطفل حفظها ، وينبغي ان تكون ذات مدلول خلقي من حث على اصطناع المعروف ، وقرى الضيف ، وغير ذلك من مكارم الاخلاق » . ولقد بقيت بعض هذه الكتب بعيدة عن الصغار بأسلوبها الرفيع ، وبقي ابطالها بمنأى عن دنيا الاطفال ، حتى تناولها في العصر الحاضر مهذبون ، فصاغوها صياغة تقرب ما بها من معان للناشئين ، وقد يكون من المفيد في هذا الصدد ان نسوق هذا الكلام على لسان دمنة ، ليعلم منه ان الطفل مهما تكن سنه ومقدرته لا يستطيع ان يستسيغه او يتلقاه بالقبول : قال دمنة : حدثني الامين الصدوق عندي ان شترية خلا برؤس جندك . وقال : قد خبرت الاسد وبلوت رايه ومكيدته وقوته . فاستبان لي ان ذلك يؤول منه الى ضعف وعجز ، وسيكون لي ولسه شان من الشئون فلما بلغني ذلك علمت ان شترية خوان غدار ، وانك اكرمتها الكرامة كلها ، وجعلته نظير نفسك ، وهو يظن انه مثلك ، وانك متى زلت عن مكانك صار له ملكك ولا يدع جهدا الا بلغه فيك وقد كان يقال : اذا عرف الملك من الرجل انه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه فان لم يفعل به ذلك كان هو المصروع وشترية اعلم بالامور وابلغ فيها . والعاقل هو الذي يحتال للامر قبل تمامه .

ان هذه الادلة التي سيقت على لسان دمنة فوق ادراك الطفل وليس في القطعة ما يفريه بالقراءة . على ان كل جملة من جمل هذه القطعة يحتاج الى وقفات للبسط والايضاح ، وليس في نفس الناشيء من الصبر والقدرة على الادراك ما يمكنه من الاحاطة بما يهدف اليه هذا الكلام . ولهذا نقول : ان المؤلفين والمترجمين في تلك العصور لم يحاولوا الكتابة للاطفال في مراحلهم المختلفة ، وانما جاء انتاجهم صالحا لبعض هذه المراحل من حيث الموضوع وان ند عن آفاقهم في اسلوبه وتصويره في كثير من الاحيان .

ولا نستطيع ان انكر الوانا اخرى من ادب البطولة ظهرت في عهود التاخر ، كان لها شان بين عامة الناس تلك هي الوان القصص الشعبي ، كقصص الظاهر ببيرس وابي زيد واخبار الصالحين وغيرها ، وكان الاطفال يقبلون عليها اقبالا شديدا لما يجدون فيها من حديث الحرب والقتال والضرب والنزال ، ولما يجدونه في اشعارها الحماسية من تلبية ليوالهم المتطلعة الى الزعامة وحب السيطرة والمغامرة . يحدثنا الدكتور طه حسين في كتابه الايام عن اقباله على سماع الادب الشعبي فيقول : كان احب شيء اليه ان يسمع انشاد الشاعر ، او حديث الرجال الى ابيه والنساء الى امه ، ومن هنا تعلم حسن الاستماع ، وكان ابوه وطائفة من اصحابه يحبون القصص حبا جما ، فاذا صلوا العصر اجتمعوا الى واحد منهم يتلو عليهم قصص الغزوات والفتوح واخبار عنتره والظاهر ببيرس ، واخبار الانبياء والنسك والصالحين ، وكتبا في الوعظ والسنة ، وكان يقعد منهم مزجر الكلب وهم عنه غافلون ولكنه لم يكن غافلا عما يسمع ، بل لم يكن



الاجيال السحيقة توارثتها الجدات عبر القرون ، وقد يكون في بعضها متعسة واذكا للخيال ، ولكن قد يكون في بعضها الاخر خلق للمخاوف بما يجري على ايدي الابطال من المردة والشياطين واللصوص والفتاكين . وهكذا نصبت الجدة نفسها مربية وادبية دون علم ، ولم تتخل حتى الان عن مكانتها بعد ان انشئت دور الحضانة والرياض ، وبعد ان تولت الاذاعات العربية توجيه الاطفال في هذه المرحلة بالوان من القصص والانشيد .

وقد استمعت الى القصص التي تلقى من الاذاعة فاعجبني منها اشياء: اعجبني ما فيها من خيال جامع يناسب الطفل في هذه المرحلة ، فالطيور تتحدث ، والحيوانات تفني والجماذ يتحرك، واعجبني اعتمادها على التصوير الصوتي لكل هذه الكائنات فان هذا التقليد ينقل الطفل الى جو مثير ، فيخيل اليه انه يستمع الى ذوات الاشياء وان ما يسمعه حقيقة واقعة . وفيها غير ذلك استفلال للفناء ، وهو بنغماته يضيء على القصة من الامتاع ما يملك لب الطفل ويستحوذ على وجدانه . وهكذا تستطيع الاذاعة بهذا التأثير القوي ان تقدم من الابطال والاعمال ما تراه مفيدا لخيال الطفل ، مؤثرا في اخلاقه .

ومن الواجب ان نشير كذلك الى ما تقوم به مدرسات الحضانة والرياض من تقديم الغذاء الادبي في هذه السن المبكرة، غير اني لا اعفيهن ولا اعفي الاذاعة احيانا من الخروج عن مستوى الاطفال : فليكن البطل في قصص الاذاعة والمدرسات دجاجة تتحدث ، او وردة تفني ، او قطا يعاون طفلا ، او عنزا تشتري من الحداد قرنين لتدافع عن ابنتها ، وليكن الغرض من كل ذلك تنمية الخيال وتعريف الطفل بمقومات بيئته ، ولينثر القادر في تصايف الكلام ما يريد من مثل واخلاق . ولكن الخروج عن البيئته في هذه السن ايداء : فالاسكيمو ، وسكان الادلغال ، ووحيد القرن حقائق اذا نقلنا اليها الطفل قبل الاوان ، كان مثلنا مثل من يقدم الدسم للمعمود يزيد من علته ويؤخر شفائه .

ويجب ان نعلم ان كثيرا من قصص الجدات بلاء اي بلاء اذا كان ابطالها من الاغوال والمردة والسفاكين ، وان قصة الطفل الذي احترق عندما خالف امه وامثالها مما تتورط فيه بعض المدرسات لصفار الاطفال ضارة ، لانها مثيرة لمخاوفه . ولعلنا نعلم ان غريزة الخوف في هذه الفترة من الحياة تبلغ الغاية من الحدة والعنف ، ومن واجبا ان نهدىء من نورثها بما نصطنع من قصص نتخير ابطالها من الاطفال الشجعان ، ونجري الاحداث على ايديهم فيرى الطفل انهم لا يرهبون الظلام ، ولا يخشون السكون ، ولا يخافون الحيوانات الاليفة والحشرات الضعيفة ، فيحاول تقليد منهم مهذا من حدة الخوف التي تسيطر عليه .

وقد رايت فيما قرأت قلة واضحة في هذا النوع من القصص : وربما وقع القاريء على قصة يجد في بدايتها صلاحا لهذه المرحلة ، فاذا مضى في القراءة وجد في تصايفها خروجا على ما يناسب الصفار . وقد يجد في بعضها الاخر اسرافا في الطول يخرجها عن الملائمة لاطفال في سن الخامسة . هذه قصة مترجمة اسوق صورا منها على سبيل المثال . وجدت في بدايتها المرأة السحرية تتحدث فقلت : انها لاطفال في سن الخامسة . فلما قطعت في قراءتها شوطا وجدت في ناياما حديثا عن الحسد والغيرة وهي صفات غير مفهومة لاطفال هذه المرحلة ، وقد تضمنت القصة غير ذلك احداثا لا تناسب الاطفال الكبار ، تقول القصة : « وكان عند هذه الملكة

لا يدركون في اغلب الاحوال ، فشق عليهم ذلك حيناً ، واساءهم حيناً اخر ، ووجدوا فيه الغذاء الصالح للنفوس في قليل من الاحيان ، حتى كانت النهضة الحديثة ووجد الادباء والمتصنون للتربية نماذج منه في الادب الاجنبية : وجدوا قصصا ومسرحيات ، واشعارا يستسيغها الاطفال في حداثة السن ، فترجموا وعربوا والفوا وشهدت مدارس سوريا ولبنان مسرحيات ، فالف خليل اليازجي «مروءة ووفاء» وعرب محمد عثمان جلال «العيون اليواقظ على لسان الطيور والحيوان» ووضع ابراهيم العرب كتابه « آداب العرب » في شعر قصصي سهل واقبل المؤلفون للاطفال على خرافات ايسوب يستعربون من قصصها ما يلائم بيئتنا واتجاهاتنا وعمد محمد عبد المطلب وعبد المعطي مرعي الى التاريخ العربي ينظمان حوادثه مسرحيات . وهكذا عرف العرب بعد ان ظهرت اهمية علم النفس ان للطفل مستواه الخاص ولم يعد رجلا صغيرا كما كانوا يظنون . وادركوا كذلك ان الادب اذا احسن اختياره ، وقدم للطفل في اسلوب مقبول كان مؤثرا في نفسه وملونا لخالقه ورأسماله المثل العليا في سيرة ابطاله . نعم لم تكن المسرحيات المدرسية الى عهد قريب ملائمة للاطفال ، ولكنها على اي حال كانت خطوة في سبيل التدرج ، والوصول بعد ذلك الى النتائج الطيبة .

نماذج البطولة في ادب الاطفال :

ولست اود ان اخوض مراحل الطفولة ، وما يصلح لكل منها من ادب البطولة قبل ان اشير الى اختلاف واضح بين نماذج البطولة في ادب الرجال ونماذجها في ادب الاطفال . فقد يكون البطل في نظر الصفار آدميا او غير آدمي : قد يكون طيرا او حيوانا ضعيفا او قويا ، بل قد يكون جمادا : عصا تسير ودراجة تنطق ، وهكذا . واننا لنجد من خطل الراي احيانا ان نسوق له الاطال من التاريخ نحدثه عن اخبارهم واعمالهم لانه لا يقدر الزمن ، ولا يدرك حدود المكان فترى من الواجب تأخير اخبار العظماء ، ووصف الشعراء لمواقع القتال ، وما ينسب الى الاجداد من حماية الاوطان حتى يبلغ المرتبة التي يدرك معها الاسرار التي نبتقيها من وراء هذه البطولات فنقدمها له عالين آثارها المجيدة في نفسه .

ولا نود ان نقف في امثلتنا البطولية عند الشجاعة وحدها ، فهي لون من الالوان ، وانما نعد كل متفوق على نظرائه في الصفات الانسانية بطلا : فالكريم والوفي وذو المروءة والمعين على الشدة ابطال . والصالح والحكيم والصبور ابطال ، والسياسي والمخترع والعالم النافع والذكي وواسع الحيلة - ابطال كذلك . نقول ذلك ، لان الطفل يرى في كل هؤلاء مثل السمو والتفوق بل يرى فيهم البطولة والحق التي تستاهل التماس الاسوة والاكبار والاجلال .

وليس من الحكمة في شيء ان نصدر حكما على ادب الطفولة دون بيان للمرحلة التي الف لها او ليق لاطفالها : فقد يكون جيدا للاطفال في سن معلومة قبيحا بالنسبة لآخرين ومن اجل هذا رايت الاشارة العاجلة الى مراحل الطفولة مع بيان ما يصلح لكل منها من ادب ، وبطولات .

« اول » الطفولة المبكرة (من الثالثة الى الخامسة)

كانت الجدة ولا تزال اديبة هذه الفترة من حياة الطفل ، وكانها قد فرسها برد الشتاء قد اتخذت مكانها المختار حول المدفاة ، ثم اخذت ترسل بصوتها المهتدج الى الاسماع قصة الفول ، والشاطر حسن ، واصبح الملك (او عقلة الصباح) والاطفال في سكون لما يتملك قلوبهم من الرهبة حيناً ، وعجائب الحياة حيناً آخر ، وليس للجدة من هدف فيما تقول الا ان تفري الاطفال بالسماع ، وتحول بينهم وبين العبت قبل المنام : روااسب من

البطولة في ادب الاطفال

- تنمة المنشور على الصفحة ٣٢ -

الجديدة مرآة سحرية تنظر فيها وتسألها : يا مرآتي الصغيرة : هل في البلاد احد اجمل مني ، فتجيبها المرآة :

سيدتي الملكة : انت اجمل سيدة في البلاد جميعها ...» ثم تتابع احداث القصة الى ان يقال : « غضبت الملكة غضبا شديدا وامتلا قلبها بالغيرة والحسد والفيظ وكرهت « سنوهيت » اشد الكراهية وقالت في نفسها : يجب ان تموت سنوهيت هذه ، يجب ان تقتل » . ثم ذكر في القصة بعد ذلك ان الاميرة نامت خمس سنين دون ان تأكل او تشرب . فنحن اذا نظرنا الى القصة على ضوء ما نعرف من اتجاهات الطفولة ، ادركنا انها مترجمة بين ما يلائم الكبار وما يلائم الصغار فهي اذا بصورتها الراهنة لا تلائم اي فريق من الفريقين ، غير اننا لا نستطيع ان نقدمها للكبار للتسلية ، ونزجية الفراغ محتلمين ما نتعرض له من نظرات التهكم عندما يقرأ الطفل نوم الملكة خمس سنين دون ان تأكل او تشرب ، وعندما تتحدث المرآة عالة بالغيث ، ومخبرة بالحقيقة .

واعود فاقول : ان البطل في هذه المرحلة يجب ان يكون طيرا معروفا ، او حيوانا ليثا او طفلا او احد الاقرباء ، وان يراد ببعض القصص التقليل من حدة الخوف والتعريف بالبيئة ، وتنمية الخيال .

(ثانيا « الطفولة المتأخرة (من السادسة الى الثانية عشرة)

اننا لنقرأ في وجه الطفل في السنتين الاوليين « السادسة والسابعة » تساؤلا وكأنه يقول : اريد ان افهم ما يحيط بي من اشياء ، اي هذه الاشياء حقيقة وايها خيال ؟ لا تدفعوني بقصصكم العجيبة الى الحيرة ، فقد بدأت افهم ان البساط لا يطير ، نعم لا يطير ، لاني رأيتُه ثابتا وما زال ثابتا . وبدأت افهم ان ما اكله الذئب من اولاد العنز لا يمكن ان يعود الى الحياة مرة اخرى . اريد ان اعرف بيئتي على حقيقتها ، واعرف بلادي، واتودد الى اصدقائي ممن يعيشون في بلدتي . انني لاحس كثير من الفموض فيما حولي ، وهذا الفموض يقلق نفسي ، فاحس التساؤم في بعض ايامي ، فروحوا عني بالوان من الفكاهة تسري بعض ما ينتابها من حيرة وكآبة .

انها انتقال جديدة حقا تحتاج من ادبائنا الى حكمة في اختيار القصص وانواع الابطال فليكونوا في هذه الفترة من اهل الحرف : كالصناعات والزراعات والتجار ومن اليهم ممن يؤدون خدمات لمواطنيهم ، وليكونوا كذلك من الغرباء عن اهلهم واوطانهم حين يحسون بالشوق والعودة ، وبذلك نبدأ الخطوة الاولى في طريق الاحساس والوطنية ، على ان يكون خيالنا محبوبا بل تغلب عليه الواقعية الا في القليل من الخيال الذي يجذب الانتباه ويحمل عناصر التشويق .

وليكن الابطال الذين تدور حولهم قطع الشعر ، ومقطوعات الاناشيد في هذا المحيط ايضا الام والاخوة والجدة ، والمرضة ، والمعلم وغيرهم ، ولو استطاع الناظم ان يؤدي المعاني التي يريدتها في اسلوب قصصي لكان

ذلك اوقع في نفس الطفل وادعى الى تأثره . هذا الشاعر الهراوي يتحدث عن العطف الاخوي في ابيات يقول فيها :

كانت ليحيي هرة بيضاء وسنينة في شكلها حسناء
وكان لا ياكل الا ممها ولم يكن يشبع او يشبعهما
فمرة قد جلسا للماكل واخته فاطمة في معزل
فاجلس الهرة فوق المنضدة يطعمها من لحمه مقده
فاقبلت فاطمة نحو الهرة تطعمها مثل أخيها مره
فطلت الهرة انها انت تريد ان تحرمها ما اطعمت
فرفعت لها يدا بشرها وخدشت فاطمة بظفرها
لا رأى يحيي دمها اخته صب على الهرة سوط مقته
القي بها من فوره بعيدا وقال قولا طيبا سديدا
الاخت يا هرة فوق الهرة ومن يساوي صدفا بدره

وانا وان كنت لا ارضى بقوله « صب على الهرة سوط مقته » من ناحيتين : ناحية ارتفاع الاسلوب الذي لا يناسب السياق ، وناحية الحيوان الذي لا يدرك الا اني واجد في القطعة نهجا شائعا يفري بالقراءة ، ووصفا جميلا لتعاطف الاخوة على انه قد يهون التقدي حينما نعلم انه اراد ان يبين مكانة الاخت وانها تفضل كل شيء محبب اليه ، حتى ولو كان هرتة المزينة : « ومن يساوي صدفا بدره » ويجب ان نعلم ان الفكاهة ضرورية لا بد منها ، لانها تشيع الابتهاج في نفس الطفل وتجعله يقبل على الحياة بل ترغبه في القراءة منذ الصغر، على ان تكون الفكاهة هينة لا يحتاج ادراكها الى عمق في التفكير، ويكون ابطالها ممن تجري على ايديهم اعمال تلفت النظر لما فيها من غرابة . فقد نستطيع ان نؤلف قصصا صغيرة تدور حول طفل ينسى كثيرا فيلبس حذاه معكوسا ، او يلبس حلة اخيه الصغير فيبدو منظره مضحكا ، او نذكر له قصصا لاناس يقعون في مشكلات ، لانهم لم يفكروا تفكيرا سديدا : كقصه الرجل الذي وجد لوحة معلقة على عمود فلم يستطع قراءتها لضعف بصره ، فصعد ليعلم ما بها ، فلما وصل اليها وقراها وجد بها هذه العبارة « احترس من الطلاء » . ان هذه القصة وامثالها فضلا عما بها من المرح تأخذ بيد الطفل الى معرفة ما لم يعرف من شؤون الحياة ، فهي تسلية لنفسه وفداء لعقله في وقت معا .

ولما كان الخيال الذي ننهي عنه انما هو الخيال الجامع الذي قد يوقع الطفل في حيرة كالخرافات التي تؤكد مزاعم العوام ، لما كان ذلك فاننا نستطيع ان نقدم له ما ينطق الطير والحيوان والحشرات ، لان الطفل لا يحتاج الى عناء كبير في ادراكه على حقيقته. ولتكن غايتنا من ذلك توضيح صفاتها ، والافصاح عن عجائبها ، او غرس العادات الصالحة عن طريق بطولاتها وما تقوم به من اعمال ، او الاتيان بطائفة من الفكاهات في حكاياتها سواء اكنت شعرا ام نثرا على ان تكون في مستواه العقلي كما ذكرنا ، من ذلك مثلا قول شوقي على لسان الحمام بعد ان اوقع صاحبه وذهب يستفسر من الثعلب عن فعلته :

في موكب الامس لما سرنا وسار الكبار
طرحت مولاي ارضنا فهل بذلك عمار ؟
وهل اتيت عظيما فقال : لا يا حمار !

اما الفترة الباقية من الثامنة حتى الثانية عشرة فمن حقا ان نعود فيها الى الخيال ولكن في الحدود التي لا تجلب المخاوف والمفزعات، وفي الافاق التي لا تحملها على الاستهزاء والسخرية . نعود الى مثل هذا

وتسير القصة ذاكراً تهديدهم له بالقتل ان لم يسبح بالاسرار ،
ومفصحة عن اغرائه بشتى الغريات ان هو باح بها وخان قومه
ولكنه لم يفعل :

فتبسّم المأسور من هذا الكلام ورددا
عاشت بلادي حرة ولها دمي منسى الغدى
افنى ويبقى في علا وطني الحبيب مخلصا

ونعود فنذكر بما سبق ان قلناه من ان الطفل في هذه الفترة وان عاد
الى الخيال مرة اخرى ، الا انه لا يميل الى الخيال الجامح ، وانما يميل
الى الخيال المحدود : لا يعجبه ان يستمع الى قصة الحصان يطير بصاحبه
في الجو ، ولا يعجب بالخرافات الشاذة حينما نذكر له مثلا في قصة من
القصص ان عملاقا مفرط الضخامة كان الناس يسرون على حافة قبضته
فلا تقع ولا يحس هو بهم . نعم قد يقرأ مثل
هذه الخرافات ، ويقرا قصة الاميرة المسحورة ، وابن عروس البحر ، واصبع
الملك وغيرها ، ولكنه يستهين بها متطلعا الى خيال من نوع آخر . وقد
يجد في هذه الخرافات من الفرائب ما يزيد من مخاوفه او يدفعه الى دنيا
الارهام والاباطيل . ولست ادري لم يفرق المؤلفون في هذه الخرافات ،
فيأتوا في قصصهم بالبخور ينطلق منه المارد ويتخبروا الابطال من الجن
والشياطين . وفي حقائق العلوم في عهدنا الحاضر مجال لخصوبة الخيال
- ان شاءوا - . ها هي ذي الابتكارات في الاقمار الصناعية ، والذرة ،
والصواريخ ومعجزات الطب وغيرها ، كقيلة بان تفسح المجال امام الخيال
الابتكاري . فليتخير الادباء ابطالا مفامرين يسافرون الى القمر ، وليتخيّلوا
معجزات لا تقع في الحسبان توجد الذرة ، وليذكروا في قصصهم ابطالا
يطرون في الجو بالآلات صغرى ويأتون باعمال عجيبة .
وليتخيّلوا من معجزات الطب ما يشاؤون . فان هذه خير الف مرة من
المارد الذي يخرج من البخور ، لان فيها تنبيهها للاذعان ، وبناء للخيال ،

الخيال آمنين ، لانه اصاب من المعرفة ما يمكنه من التفرقة بين الواقع
والخيال . على ان اهم ما نعى به في هذه الفترة انما هي بطولات الوفاء
للوطن والتضحية في سبيله . ومن الامثلة التي اجتمع فيها الخيال بالمعاني
السامية في محبة الوطن قطعة شوقي المشهورة وفيها يقول :

عصفورتان بالحجاز حلتا على فنن
في خامل من الرياض لا ند ولا حسن
بيناهما تنتجيان سحرا على الفصن
مر على أيكهما ربح سرى من اليمن

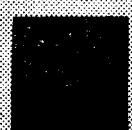
فبطولة القصة هنا تقوم بها عصفورتان رضيينا بجفاف المكان وقسلة
الغذاء ، تقديسا للوطن ، وايمانا بمكانته العزيزة في النفوس . ثم ردت
احدهما على الريح في جواب المؤمن بوطنه المتفاني في محبته .

يا ربح انت ابن السبيل ما عرفت ما السكن
هب جنة الخلد اليمن لا شيء يعذل الوطن

ولست اوافق الشاعر هنا على التمثيل باليمن والحجاز فهما وطن
واحد ويجب ان ننبه الاطفال الى هذا المعنى ونؤكد في اذهانهم وقلوبهم
منذ الصغر .

وقد يكون من الواجب في هذه المرحلة ان نذكر الطفل بالوان من
التضحيات يقوم بها الابطال في سبيل بلادهم : الجندي في ميدان
القتال ، والاسير بين ايدي الاعداء ، والفدائي يضحى بنفسه في سبيل
المبادئ ، كل ذلك في اسلوب قصصي يلثم الاطفال ، ويتمشى مع ادراكهم
واننا لنذكر على سبيل المثال قول احدهم يذكر قصة اسير :

وقف الاسير مقيدا بين الاسنة والعدا
فاذا تلفت حوله وجد السلاح مسددا
قالوا له : ماذا وراك من معدات السردى
ماذا اعد امركم للحادثات وجندا

تصميم: 

ركنو زيبا غو

بوريس باسناك

قصص الحب والتضحية... والضحى... والحب الباردة

التي على صدرها البحر العاصي

الكتاب الثاني

٢٠٠٥

واما الثانية فنسلك اليهما طريق الرمز على لسان الحيوان ، على ان يكون البطل حيوانا ضعيفا يتغلب على حيوان قوي : يخدع الارنب الاسد فيوقعه في البئر ، وتفتك البعوضة بالفيل ، تغلب القطب على الاسد بحيله ، او يفر من الفلاحين بتماوته وهكذا : فالطفل لا يفريه فتك الاسد بالارانب ، ولا يسر من قتل الفيل للبعوضة لانه يضع نفسه موضع الصغير . فيتوهم حين يقرأ انه يستطيع ان ينازل الاقوياء المعتدين بما يتخيل من سعة الحيلة وقوة الذكاء ، ومن اجل هذا وجدنا الاداب جميعا ومن بينها الادب العربي تمتليء بقصص كثيرة من هذا اللون تلبية لفراتر الطفل وتحببها له في القراءة والاطلاع ، وترويحاً عن نفسه بما فيها من المفارقات والفكاهات .

ثالثا : مرحلة المراهقة

والان ننتقل الى أخطر مرحلة من مراحل الطفولة ، انها مرحلة المراهقة بين الثانية عشرة الى الرابعة عشرة ، وقد تمتد بعد ذلك سنة اخرى او سنتين ، وهذه الفترة من حياة الطفل هي فترة القلق ، فالغريزة الجنسية نائمة ، والقيود الكثيرة من حوله تقف في سبيله : سلطة الاباء ، وتقاليده المجتمع وتعاليم الدين وسلطان القوانين ، ولذلك نراه مضطربا اشد الاضطراب ، فلما اشد القلق ، والقيادة التي تتولاها في هذه الحالة هي التي تحدد مصيره ، وترسم مستقبله . وربما كان ادب البطولة في هذه الفترة انجع علاج نتدرج به اذا شئنا له الصلاح والسلامة .

وتخطيطا للانسانية في مستقبل الزمان . ومن الانصاف ان اقول : انني وقعت على بعض القصص التي تستمد خيالها من هذه النواحي ، ولكنني اذكر انها وقعت في كثير من الاخطاء ، ففي احداها يقول عمار لبشيار بعد ان وصلا الى القمر في صاروخ : انظر الى الارض يا بشيار وهي تدور كأنها قمر كبير . انظر ! ها هو البحر المتوسط ، وها هي سوريا ومصر ، وها هي آسيا وافريقيا « وكان في الصورة يشير الى الارض وهو ينظر اليها بعينه المجردة فكيف يستبين مصر وكيف يستبين سوريا . ولكنني مع ذلك كله اقول : ان هذه القصة واشباهها - مهما يكن بها من اخطاء - خير من قصص السحرة والشياطين تلك القصص التي لقيت رواجاً كبيراً في عهد التأخر والجمود .

في هذه الفترة من الحياة يبدأ التطلع الى القوة : يراها الطفل في قوة الجسد ، وقوة العقل وسعة الحيلة ، وهو يود ان يصل اليها جميعا تلبية لغريزة السيطرة التي قويت في نفسه ودفعته الى طلب الزعامة : ولذلك يرغب في تكوين جماعة يقودها ان استطاع ، ليحارب جماعة اخرى في حي من احياء بلدته : انها النفس تؤكد ذاتها وتبين شخصيتها ، وتحاول ان تفرض سلطانها بعد ان انست الى البيئة وعرفت اسرارها ، وقد يجرفه هذا الاتجاه في غفلة من الاباء والمربين الى الفرار من كل قيد ، وتقليد الاقوياء من القنلة واللصوص والسفاكين . ونحن بما اوتينا من قوة لا نستطيع ان نند الفرائز ولكننا نملك توجيهها بما نتدرج به من اساليب وخير ما نتسلح به في هذه الحال الادب الموجه ، نستغل مثله وصوره واعمال ابطاله . ليلمس الطفل القدوة فيما هو واجد فيه من صفات ، ويعلم ان القوة خير حين توجه لصالح الوطن ، والدفاع عن الكرامة ، وحين يراد بها مواجهة العتاه ، ومؤازرة الضعفاء ، والوصول الى الحقوق . اما حب الغلبة والاعتداء وفهر الناس واستلاب الاموال فانحرف لا يليق بالنفس العزيزة الكريمة .

نسوق هذا كله مساق القصص ، او نقدمه في حوار المسرحيات ، او نصوره في شعر سهل تتقبله نفوس الناشئين ، لان هذه الطرائق افضل بالنفوس ، وادعى الى الاقتداء بالابطال الشرفاء فينشأ الجيل بعد الجيل على عزة النفس وابعاء الضيم ، وان الوطن ينتظر من ابناؤه جراحة في موضعها وشهامة في الحفاظ على المقدسات ، وحمية تردع الاعداء . ومما يدعو الى الانتباه في هذه الفترة من الحياة ان الطفل يفرم بالقوة حقا ، ولكنه يحس في جسده من الضالة ما يحول بينه وبين باوغ الغاية التي يريد ، وقد تتعقد نفسه بهذا الشعور ، ومن ثم كان من واجبا ان نمهّد امامه الطريق الى الايمان بنفسه بناحيتين : اما اولاهما فبطولة صبي يتغلب على طافية . واما ثانيتهما فبطولة الحيلة ينتصر بها الضعيف على القوي . ومن امثلة البطولة قول الشاعر في وصف مدعي الشجاعة .

وكان يلقي الرعب في القلوب بكثرة السلاح في الجيوب
وكلما مر هناك وهنأ يصيح بالناس انا انا انا
نمي حديثه الى صبي صغير جسم بطل قوي
لا يعرف الناس له الفتوه وليس ممن يدعون القوة
فقال للقوم سادركم به فتعملون صدقه من كذبه
وسار نحو الهمشري في عجل والناس مما سيكون في وجل
ومد نحوه يمينا فاسيه بضرية كادت تكون القاضيه
فلم يحرك ساكنا ولا ارتبك ولا انتهى من زعمه ولا ترك
بل قال للغالب قولا لينا الان صرنا اثنين : انت وانا

قصّة الأزواج المزدوجين
في زواجهم ...
قصّة الزوجات الباضات عن
اللذة في كل مكان وعند كل
إنسان ...

نساء الأفريين

يقدمها:
أمين يوسف غراب

نشر وتوزيع

المكتب التجاري - بيروت

٢ ل . ل . س

٣٠٠ صفحة

بور سعيد سماها مؤلفها العدو الجبان ، وابطالها من الغلمان الاذكياء
الذين يعتمدون على الحيلة للايقاع بالاعداء ومنها :

والان هيا يا رفاقي كل فرد في انجسائه
من راي منكم عدوا فلينفذ ما يسراه

وبعد ان صرع احدهم احد الاعداء يقول :

صرعتك مصر بكف شبل من بني الشعب عظيم
شعب العروبة والرجولة والبطولة من قديم

واعتقد ان استغلال التاريخ لا يزال محدودا ، ولذلك ارى ان نعمد الى
مادة التاريخ التي بين ايدينا فنقسمها على هذا النحو :

أ - علماء او ابطال نبغوا في حداثة السن كالمثني والشافعي ومصطفى
كامل وغيرهم .

ب - ابطال تفوقوا في قتال الاعداء دفاعا عن الوطن او حماية لمبدأ
من المبادئ كخالد بن الوليد ، وصلاح الدين وغيرهما .

ج - ابطال ضحوا في سبيل مبادئهم كجميلة بو حيرد

د - ابطال الاصلاح كجمال الافقاني ، وقاسم امين .

هـ - رجال الذهن والورع كعمر بن عبد العزيز

و - اخبار الرحالة والكاشفين.

نعمد الى هذه الانواع من البطولات ونجعلها اساسا لقصص ، نصيف
اليها من الخيال ما نراه بحيث لا تخرج في جوهرها عن المفهوم التاريخي،
وليس يفرضها ذلك ما دامت تقدم الى الطفل على انها لون من الوان القصص
لا على انها تاريخ . اما القصص الشعبي فمن واجبتنا ان نتقى منه ما
نراه صالحا ثم نهذبته تهذيبا كاملا ما دمنا نرمي من ورائه الى التربية
والتقويم ، وليس من الحكمة في شيء ان نقف في اخراجنا له عند حد
الاسلوب كما يفعل بعض المهذبين .

ولا اريد بانجاهنا الى التاريخ ان نهمل جانب القصص على لسان
الحيوان والطيور فما زال الطفل في مراقبته تواقا الى صورته على ان
نخطو به خطوة اوسع مدى واعمق تفكيرنا ، ونستغله فيما نريد من الوان
البطولات .

قد تقدم في المنقوعة الواحدة شخصيتين او ثلاثا ، ويقوم كل منها
بعمل من الاعمال ثم نبين في خلال الابيات او ختامها ايها اعلى قدرا واكثر
نفعا ، على ان يكون كل من العاملين بطوليا او انسانيا يفاضل بينهما .
ولشوقي قطعة شعرية بعنوان « امة الارانب والفيل » رايت فيها وفاء بهذه
الاتجاهات ، بل ان ما فيها من اشارات بطولية خليقة بان تكون دروسا
متعددة في الاخلاق ، ومرآة على مواجهة المشكلات بحزم وتفكير وتعاون
مع المواطنين :

يحكون ان امة الارانب قد اخذت من الثرى بجانب
وابتهجت بالوطن الكريم وموئل العيال والحريم
فاختاره الفيل له طريقا ممرقا اصحابنا تمزيقا
وكان فيهم ارنب لبيب اذهب جل صوفه التجريب
نادى بهم يا معشر الارانب من عالم وشاعر و كاتب
اتحدوا ضد العدو الجافي فالاتحاد قوة الضعاف

وتمضي القصة مبينة ان الارانب اختارت بعد هذه الدعوة ثلاثة للتشاور
وتدبير حيلة للايقاع بالفيل ، وراى كل منها رأيا وكان رأي الاول :

ان نترك الارض لذى الخرطوم كي نستريح من اذى القشوم

قد يتمرد بسبب القلق على كل سلطة ، وقد يهرب من آياته ، وقد
يفضب فيسرف في الغضب . ولكنه مع كل هذا يحمل بين جنبيه نفسا
طيبة قابلة للتقويم : فهذا القلق نفسه يحفزه الى متنفس في عمل
الابطال ، فيخلص لهم اشد الاخلاص حتى لقد سمى علماء النفس هذه
الفترة مع خطورتها البالغة ، احسن الفترات لتكوين المثل العليا ، والعادات
مثالا للرجولة الكاملة ، ولا يزال اكباره لها يشتد ويشند ، حتى يترسم
خطاها في امانة ، وينسج على منوالها في دقة تامة ، ومن ثم كانت هذه
الفترة مع خطورتها البالغة ، احسن الفترات لتكوين المثل العليا ، والعادات
الاجتماعية الصالحة عن طريق دراسة الابطال . ولا اقصد بهذه الدراسة
اتباع المنهج العلمي او تلقين العرفه باسلوب جاف ، وانما اريد استغلال
الادب وقصصه ومسرحياته وشعره . وفي تاريخنا العربي قديمه وحديثه
مادة صالحة للاستغلال الادبي : فيه المجاهدون الابطال ، والغدائيون ،
والشهداء والسياسيون ، واهل الراي والحكمة ، وفيه الانبياء والصالحون
والاطهار المقربون وغيرهم ممن صابروا في سبيل المبادئ السامية وضحوا
في سبيل الوطن والانسانية . فافاد من جهودهم العرب بل الناس جميعا .
نعم في تاريخنا القديم والحديث ما يصلح غذاء ادبيا سليما واداة صالحة
للتقويم ، ولا انكر ان جماعة من الابداء والشعراء قد عمدوا الى هذا
التراث الكريم فافتسوا منه قصصا للبطولات . فجاء بعضها مناسبا
ومال بعضها الاخر الى السرد التاريخي مغللا التشويق فانصرف الاطفال
عن قراءته . ومن المسرحيات الشعرية الشائقة مسرحية تدور احداثها في

رسالة الوداع

محاولة

للاستاذ محمد فتح الله

- « قرأتك من اوله الى آخره وقرأت بعض صفحاته مرتين
ففي الكتاب جرأة وصراحة وتهديم اوصام وخرافات .
الكتور جويبر حنا - مجلة العلوم
- « كتاب مرهق تناوكت بمعنا من اعمده الى اذناه . فيه ما
يلعب بمرورنا تارة هرا من اجل البناء ومن غير ثقة ولا زينة
ولا تجديف ... انه لصخرة ، صخرة كبيرة جدا القاصا في
المعرض فدا تنفك مياها الرائدة تنفض ...
محمد النقاش - بيرد السار
- « ارحمني من كتابك تعرفك العميق للمشكلات التي تعالجها
ثم جرائك وارتائك في معالجتنا مثلما ارحمني اسلوبك
المركز وبياناتك العربية الصميم الى جانب تسلسل
الاقطار وروعة التعبير وقوة الحجج .
مينايل نعمه

اطلبه من دار الكشاف وصايرا للمكتبات

فلم تقبل الجماعة الرأي لأنه ترك للوطن ، والتحنى عنه كفقدان الحياة .
ورأى الثاني ان يستعان بالثعلب في تدبير حيلة للفتك به على ان يأخذ
مقابل حيلته اربنين فلم تقبل الجماعة :

فليل لا يا صاحب السمو لا يدفع المدو بالمدو
ورأى الثالث حفر هوة للليل وقد نجحت حيلته ، فارادت الجماعة
ان تؤمره عليها فلم يقبل وقال :

فصاحب الصوت القوي الغالب من فد دعا يا معشر الارانب
ففي القصة دعوة الى الاتحاد ، وثورة على الظلم ، واعتماد على المشورة ،
وتفان في محبة الوطن ، وعدم الاعتماد على الاعداء في صد اعداء آخرين ،
وايثار واطهار لفضل صاحب الدعوة على من عاون في نجاحها . فاصبحت
القصة بذلك كله خليقة بان تقدم للاطفال في فترة المراهقة .

الاسلوب : اذا كان اختيار الموضوع وما يشتمل عليه من افكار من
الامور المهمة التي يجب ان يتوخاها المؤلف مناسبة للمرحلة التي يؤلف
لها - اذا كان ذلك مهما ، فان اختيار الاسلوب ملائما كذلك من الاهمية
بمكان . فقد تصيب الفائدة لارتفاع في الاسلوب ، وقد يهون الابتذال من قدر
القصة في نظر المتعلم من الاطفال ، ومن اجل هذا نرى ان اختيار الموضوع
يحدد في كثير من الاحيان مستوى الاسلوب الذي يجب ان يكتب به .
وهذا ما يعني به المؤلف اذا كان ممن يهتمون بالدراسات النفسية للاطفال .
ولكن هل سارت القصص التي بين ايدينا على هذا الفرار ؟ وهل راعى
المؤلفون في اساليبهم عند الكتابة : الموازنة بين مستوى الموضوع ومستوى
الاسلوب ؟ اننا لا نجد الا القليل النادر من هذه القصص : اما الكثرة
الفائرة من الانتاج : فموضوع لا يلتقي بالاسلوب ، واسلوب لا يتغير مهما
يكثر الانتاج وارتفاع يند عن مستوى الاطفال ، وتراكم في الخيال .

وقد هبط الاسلوب الشعري في بعض المسرحيات الى حد الابتذال
والخطأ في الوزن ، ومن ذلك :

ولسوف نظوي راية الكفر فقد ضربت عليهم ذلة وخضوع
فيل النبي نجا وها هو قربك فمضت تطيل الحمد تشكر ربها
كالبرق يلعب كان سيفك نازلا كالجرح يقطر صاعدا بالروح

وفي هذه الابيات كما نرى اخطاء في الوزن وابتذال في الاسلوب
وضعف في المعاني .

وبعد فانا نريد من مؤلفي القصص ان يتخيروا الموضوع ملائما لاحدى
مراحل الطفولة ، فاذا تاكدوا من ذلك تخيروا الاسلوب المناسب لهذه
المرحلة ، وبذلك تاتي اساليبهم متفاوتة بتفاوت الموضوعات .

القصص المترجمة :

قد يستطيع الطفل في مرحلة المراهقة ان يقرأ الوانا من القصص
المترجمة تتضمن وصفا لبيئات اجنبية ، وتحمل اسماء لم يسمع بها
في بيئته وتشرح عادات وتقاليد تختلف عن عادته وتقاليد . وهو دون
هذه السن احوج ما يكون الى ادراك بيئته اولا والبيئات العربية تانيا ،
ومن الخطأ ان نسبق به الزمن فنقدم اليه ما لا يستطيع ادراكه او يراه
ابعد من آفاقه .

فاذا شئنا الترجمة لمن هم دون المراهقة كان من واجبا ان نعرب
الاسماء ونغير ملامح البيئات ، ونلون العادات والتقاليد بما يجانس بيئاتهم .
وقد اطلعت على مجموعة من القصص المترجمة عن الايطالية ، فوجدت
في صورها جمالا ، وفي اخراجها روعة ولكنها تضمنت الوانا من العادات

التي لا تلائم ابناءنا واشتملت على كثير من الخرافات والاحداث المزعزعة
التي نأمل ان ننزه افكار الصغار منها في العهد الجديد .

وقد عمد بعض الادباء الى تلخيص القصص عن الآداب الاجنبية ، وراعوا
في اساليبهم السهولة معتقدين انها بقصرها وسهولة اسلوبها اصبحت
ملائمة للاطفال ، ونسوا ان الموضوع وما يشتمل عليه من احداث فوق
المستوى وانها بهذا لا تصلح اداة للتوجيه وربما نفرته من القراءة ، او اساءت
الى نفسه واخلافه .

وشبيه بهذا عمل بعض المترجمين ممن تخيروا الموضوع ملائما لبعض
مراحل الطفولة ولكنهم ملأوا اساليبهم بالوان شتى من صور البيان وغريب
الالفاظ ، يقول احدهم في قصة للاطفال :

« ثم اثنت مزهوة الفرحة الوسنانة التي يفتربها مجيهاها وتسلالات
نناياها . غدت بسمات تتوثب على ملامحها وتطفر ، آنا راقصة وانا معابثة ،
على خديها فوق ثغرها الضاحي في لمح عينيها ، اذ يبرق بين اهدابها
المشرعات كالسهم » وبمثل هذا الاسلوب يجلى المترجم احداث القصة على
انها للتلميذ بل التلميذ الصغير كما يبدو من صفر القصة ، وصورها
وطريقة طبعها وعرضها .

كلمة ختامية :

ونحن في ختام هذه الكلمة نتوجه الى المؤلفين من الشعراء والكتاب
والمترجمين والمهذبين لقصصنا الشعبي آمليين ان يهتموا بالنواحي ، الآتية ،
حتى يكون لاعمالهم آثارها المجدية في تنشئة الجيل الجديد :

١) عليهم ان يتخيروا لكل مرحلة من مراحل الطفولة ما يناسبها من
الموضوعات ، وان يتوخوا في بيانهم الاسلوب الملائم لكل مرحلة ، على
ان تكون الدراسة النفسية الاساس فيما يؤلفون .

٢) وعليهم - اذا شاءوا التهذيب من ادبنا الشعبي للاطفال - ان
ينتقوا منه الوانا يجيلون فيها يد الاصلاح ، حتى تاتي خالية من الشوائب ،
مجدية في تنمية الخيال ، مهذبة للاخلاق بما نعرض من المثل الصالحة
للابطال .

٣) ومن واجب المؤلفين ان يهينوا اذهان الناشئين للوثبات العلمية في
العالم ، وان يبشروا بوثبات ووثبات ، وان يجعلوا من العلوم والاختراعات
مادة الالوان من الخيال ونماذج لطائفة من البطولات ، ولعلمهم يجدون في
هذا غناء عن بطولات الجن والشياطين .

٤) وعليهم ان يجعلوا تاريخنا الماضي والحاضر وما فيه من بطولات ،
وسائل لتنشئة الابناء على العزة والكرامة بما يجدون فيه من المثل
العلياء تلك المثل التي تضيء امامهم الطريق الى اشرف الغايات .

وبعد ، فاني ذاك مؤلفي ادب الاطفال جهودهم وفضلهم ، ومنوه في هذا
المؤتمر الكريم ، بفضل بعض المجلات على تربية الناشئين ، وارجو ان يتابع
الادباء نشاطهم وان يلتمسوا بادابهم افوم الطرق للاعداد والاصلاح ، حتى
يعدوا ابطال المستقبل بما يقدمون من النماذج الرائعة للبطولة فقد كان
الادباء وما زالوا الرواد الذين يسرون في مقدمة الركب الى اسنى الغايات ،
وها هي ذي الامة العربية قد وضعت في ايديهم خير امانة ، وضعت في
ايديهم اعز شيء لديها ، وضعت آمالها العزيزة ومستقبلها الذي تصبو
اليه ، وضعت جيلها الصاعد ، بل وضعت الابطال احفاد الابطال .

احمد ابو بكر ابراهيم

مفتش بمعارف الكويت